بحث محكم

مقالة اللام
بين تفسير ابن رشد وتأويل
و. د. روس (W. D. Ross)

رمضان بن منصور
باحث تونسي

قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

جميع الحقوق محفوظة © 2015
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
All rights reserved © 2015
Mominoun Without Borders

الملخص:

مثلت مقالة اللام من كتاب ما بعد الطبيعة لأرسطو في تاريخ الفلسفة الكوني قلب التصور الفلسفي الميتافيزيقي المهيمن لقرون على الثقافة الآرية والسامية. ولئن كان حظ العرب قد اكتفى بتقديم شرح مفصل لجميع أقاويل أرسطو الميتافيزيقية ولأهم منعطفاتها اللاحقة فإنّ حظ الغرب تجاوز اليوم ذلك بإعادة قراءة هذا الكتاب منتفعًا لا فحسب بتطور العلوم الإنسانيّة والمناهج وإنّما أيضًا بالإرث الإنساني المتراكم على تخومه. ولعل من أهم وجوه هذا الإرث تفسير كتاب ما بعد الطبيعة وتحديدًا تفسير مقالة اللام لابن رشد.

نظرًا لتجانسهما الإبيستيمي فإنّه يبدو أنّ إفراد النظر إنّما يجب أن يلحق أولاً تأثيرات اللحظة الهلينستية على التفسير الرشدي. بمعنى أن نصغي بداية إلى ما تركته هذه اللحظة من آثار في التفسير الرشدي لمقالة اللام خاصة وهو الذي صرح في أكثر من مناسبة بأنّه قد استفاد لفظًا ومعنًى من هذه الوسائط. غير أنّه لما كانت أغلب هذه الوسائط غير مقطوعة إلى اليوم في التفاسير الغربية المعاصرة فقد ارتأينا أن نشرع في إجراء مقارنة بين تفسيريْ روس (W.D.Ross) وابن رشد للفصل السادس. يضطرنا المسلك الذي اتبعه روس في كتابه (*Aristotle*)، محاذيًا حجاج أرسطو في البرهنة على وجود الجوهر الأول، إلى الوقوف على هاتين المسألتين المتقاطعتين مع التفسير الرشدي:

أولاً: إثبات وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك وطبيعة الفحص فيه.

ثانيًا: هل الجوهر السرمدي غير المتحرك سبب غائي أم سبب فاعل؟

توطئة

مثلت مقالة اللام من كتاب **ما بعد الطبيعة** لأرسطو (Aristote) في تاريخ الفلسفة الكوني القديم والوسيط بل وحتى الراهن رحى التصور الفلسفي الميتافيزيقي المهيمن لقرون طويلة على ثقافات الشعوب الآرية والسامية. ولئن كان حظ العرب قد اكتفى، عن طريق تفسير ابن رشد لهذا الكتاب، بتقديم شرح مفصل لجميع أقاويل أرسطو الميتافيزيقية ولأهم منعطفاتها اللاحقة بدءًا باللحظة الهلينستية وصولاً إلى اللحظة العربية، فإنّ حظ الغرب تجاوز اليوم ذلك بإعادة قراءة هذا الكتاب منتفعًا لا فحسب بتطور العلوم والمناهج، وإنّما أيضًا بالإرث الإنساني المتراكم على تخومه. ومن أهم وجوه هذا الإرث **تفسير ما بعد الطبيعة** لابن رشد وتحديدًا تفسيره لمقالة اللام لأرسطو.

نظرًا لتداخلهما البراديغمي[1] وتجانسهما الإبيستيمي[2] فإنّه يبدو من المنطقي أنّ إفراد النظر إنّما يجب أن يلحق أولاً تأثيرات اللحظة الهلينستية في التفسير الرشدي. بمعنى أن نفحص بداية في ما تركه الإسكندر الأفروديسي (Alexandre d'Aphrodise)، وتامسطيوس (Themestius)، ونيقولاوش الدمشقي (Nicolas de Damas)، ويحيى النحوي من آثار مترسبة في أعماق التفسير الرشدي لمقالة اللام خاصة وهو الذي يصرح في أكثر من مناسبة بأنّه قد استفاد لفظًا ومعنًى من هذه الوسائط وإن بتفاوت.

غير أنّه لما كانت أغلب هذه الوسائط غير مقطوعة إلى اليوم في الترجمات الغربية المعاصرة لكتاب **ما بعد الطبيعة** فقد ارتأينا من جهة مناسبة المقام الذي تقدم فيها هذه الورقة أن نشرع في إجراء مقارنة بين تفسيريْ د. و. روس (D. W. Ross) وابن رشد للفصل السادس من المقالة المذكورة آنفًا (اللام، 6، 1071ب، 1 – اللام، 10، 1076أ، 35)[3].

في تفسيره للفصل السادس يمكن اختصار تمشي د. و. روس في المراحل التالية: أولاً، منزلة مقالة اللام في ميتافيزيقا أرسطو. ثانيًا، الوقوف على مختلف أنواع أدلة البرهنة على وجود الجوهر الأول وأخصها الدليل الكوسمولوجي. ثالثًا، الفحص في هل إنّ الجوهر الأول علة فاعلة أم علة غائية. رابعًا، الوقوف على

[1] بالمعنى الذي نعثر عليه عند توماس كون (Thomas Kuhn) جملة المعارف والمناهج والفرضيات والأدوات العلمية التي اتفق حولها مجموعة من العلماء في عصر أو حقبة معينة.

[2] بالمعنى الذي نعثر عليه عند ميشال فوكو (Michel Foucoult) مجموع المعارف العلمية والمعرفية الخاصة بحقبة زمنية ما.

[3] Ross, W. D, *Aristotle*, with an introduction by John L. Ackrill, Sixth edition published by Routledge, London and New York, 1995 (édition numérique) & *The Works of Aristotle*, translated into english under the editorship of W. D. Ross, M. A., Hon. LL. D. (Edin) Fellow of oriel college fellow of the British Academy Volume VIII, *Metaphysica*, second edition, Oxford at the Clarendon Press, 1928 (édition numérique).

كيفية تعقل الجوهر الأول للموجودات. خامسًا، النظر في طبيعة علاقة الله بالعالم. سادسًا، هل النظام المحكم الموجود في العالم ناتج عن قوة متعقلة أم عن قوة غير عاقلة؟ وبالتالي هل يصرح أرسطو بوجود ضرب من العناية الإلهية لهذا العالم؟

أمّا بالنسبة إلى ابن رشد فيمكن اختصار تفسيره للفصل نفسه في المراحل التالية: أولاً، موضوع مقالة اللام. ثانيًا، طبيعة الفحص في الجوهر السرمدي غير المتحرك. ثالثًا، دليل إثبات وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك. رابعًا، هل المحرك الأول علة غائية أم علة فاعلة. خامسًا، حل الشك العارض بأسبقية القوة على الفعل مع الرد على القائلين بالحركة من الإلهيين والطبيعيين. سادسًا، عرض التصور الكوسمولوجي لحركة الكون وبالتالي إثبات وجود العناية الإلهية.

ما يمكن ملاحظته في التمشيين السابقين هو تقاطع بعض المراحل وأخصها تلك المتعلقة بمسألة تحديد غرض مقالة اللام وبيان الأجزاء التي تنقسم إليها من جهة الموضوع (المرحلة الأولى عند كل من روس وابن رشد)، وإثبات وجود الجوهر الأول وطبيعة الفحص فيه (المرحلة الثانية عند روس والثالثة عند ابن رشد)، ثم بيان وجود عناية إلهية من عدمها (المرحلة السادسة عند كل من روس وابن رشد).

1- غرض مقالة اللام بين ابن رشد وروس

في الظاهر يلتبس غرض صناعة ما بعد الطبيعة بغرض مقالة اللام ويعود ذلك إلى تماثل موضوعيْ نظرهما فإذا كانت الأولى تنظر في الموجود بما هو موجود وفي مبادئه الأولى وعلله القصوى، فإنّ الثانية تفحص في الموجود الأول على الإطلاق وهو الجوهر السرمدي غير المتحرك. غير أنّ هذا الالتباس من جهة الغرض والتماثل من جهة الموضوع ينبغي أن يرتفع عن الذهن خاصة حينما ندرك على جهة التحقيق أنّ ثمة هناك فاصلاً دقيقًا بين غرض مقالة اللام على جهة التحديد وبين غرض صناعة ما بعد الطبيعة على جهة الإجمال. يُعبّر عنه القدامى استعارة بالتمييز الشهير بين المقصد الأول للقول الميتافيزيقي الذي تفحص فيه مقالة اللام بإفراد عن بقية المقالات الميتافيزيقية والمقصد الثاني الذي تستقصي فيه ما بعد الطبيعة بإفراد عن بقية المؤلفات الطبيعية خاصة.

إذا كانت ما بعد الطبيعة، بوصفها صناعة عامة، تنظر في الجوهر بإطلاق أي في مختلف أنواع الجواهر المحسوسة والمعقولة بضربيها الأولى والثانية، فإنّ مقالة اللام تخصص النظر في الجوهر المعقول الأول على الإطلاق. وإذا كانت جميع المقالات المتقدمة على مقالة اللام قد فحصت في النوعين الأولين من

الجواهر (الجواهر المحسوسة والجواهر المعقولة الثانية) فإنّه لم يبق لمقالة اللام إلا النظر في الجوهر المعقول الأول.

غير أنّ الفحص في مثل هذا الجوهر يشترط حسب ابن رشد من أرسطو وضع خطّة يظهر بمقتضاها عدم استبعاد مقالة اللام النظر أيضًا في الجواهر الكائنة الفاسدة ولكن من جهة غير الجهة التي وقعت سواء في مقالات الجوهر أو في مقالات **السماع الطبيعي**، وإنّما من جهة الفحص في مبادئها الأولى وهي جهة النظر الميتافيزيقية للجوهر. قصد بيان هذا التمييز الفاصل نجد ابن رشد يُقسّم هذه المقالة "**إلى جزأين أحدهما النظر في مبادئ الجوهر الكائن الفاسد والآخر النظر في مبادئ الجوهر الأزلي**"[4].

تطرح العبارة الأخيرة الواردة في خاتمة توطئته لمقالة اللام مشكلاً مضاعفًا: يتعلق المشكل الأول بتحديد نهاية كل من الجزء الأول والثاني لهذه المقالة وبدايتهما، خاصة إذا ما علمنا أنّ النص العربي سواءً أكان نقلاً أم تفسيرًا، مثله مثل النصوص المشائية القديمة، لا يهتم بوضع فصول لمختلف المقالات خلافًا للترجمات الغربية المعاصرة. أما المشكل الثاني فيتعلق بأنّ أبا الوليد يذكر في موضع متأخر من مقالة اللام أنّها تنقسم إلى ثلاثة أقسام وليس إلى قسمين كما ذكر سابقًا، وهو الأمر الذي يطرح مشكل أصل التقسيم في التراث الفلسفي المشائي بدءًا بالإسكندر الأفروديسي وصولاً إلى ابن رشد.

في موضعين اثنين على الأقل ذكر ابن رشد قسمة مقالة اللام إلى جزأين: الموضع الأول هو المذكور سابقًا في مستهل مقالة اللام، التفسير 1، 11 ص 1407، أمّا الموضع الثاني فنعثر عليه في منتصف المقالة نفسها تقريبًا، التفسير 29، 15 ص 1558 – 1559: "**ولذلك قسّم [أرسطو] هذه المقالة [اللاّم] أولاً إلى قسمين القسم الأول تكلم فيه في مبادئ الجوهر غير السرمدي وما يشترك فيه مع السرمدي، ووضع ذلك وضعًا من العلم الطبيعي والقسم الثاني تكلم فيه في مبادئ الجوهر السرمدي التي تخصه بما هو سرمدي**".

قبل ضبط أجزاء هذه المقالة حسب التفسير الرشدي لنشرع في تحديد موضوع كل من الجزء الأول والثاني. في تحديده لموضوع نظر كل جزء يبدو الموضع الثاني أكثر تفصيلاً من الموضع الأول والتفصيل الذي سوف نذكره لاحقًا لا يتعلق باستقصاء النظر في طبيعة الموضوع المشار إليه وإنّما في ذكر التخوم التي تربط القول الميتافيزيقي بالقول الطبيعي فيما يخص النظر في الجوهر.

[4] ابن رشد، **تفسير ما بعد الطبيعة**، مقالة اللام، التفسير 1، 11 ص 1407، تحقيق موريس بويج، دار المشرق، بيروت، 1967

فإذا كان الموضع الأول يشير إلى أنّ موضوع الجزء الأول من مقالة اللام هو النظر في مبادئ الجوهر الكائن الفاسد فإنّ الموضع الثاني يضيف أنّه لا يكتفي بالتكلم في مبادئ الجوهر غير السرمدي وإنّما أيضًا التكلم في مشاركة هذا الجوهر للجوهر السرمدي ولكن على جهة الاستظهار بما ورد في العلم الطبيعي وذلك هو معنى تنبيه ابن رشد في قوله: **"ووضع ذلك وضعًا من العلم الطبيعي"**. معنى كل ذلك أنّ الجزء الأول من مقالة اللام مازال لم ينفك عن وجهة النظر الطبيعية للجوهر وإن كانت ضرورية تمهيدًا لفحص الجوهر السرمدي موضوع الجزء الثاني.

وإذا كان الموضع الأول يشير إلى أنّ موضوع الجزء الثاني من مقالة اللام هو النظر في مبادئ الجوهر الأزلي، فإنّ الموضع الثاني لا يزيد على ذلك إلا الحصر وهو التكلم فيه وفي مبادئه التي تخصه بما هو سرمدي. غير أنّ هذا الحصر ينبغي أن لا يفهم منه أنّ فصول مقالة اللام المتأخرة الناظرة على جهة التحقيق في الجوهر السرمدي غير المتحرك قادرة على الاستغناء عن الأقاويل الطبيعية الواردة في السماع الطبيعي وأخصها تلك التي جاءت في الثامنة منه، بل على خلاف ذلك لا تكف الفصول المتأخرة من مقالة اللام عن الاستظهار بمقدمات دليل الحركة الطبيعي.

إلا أنّ القارئ يفاجأ في آخر مقالة اللام، وتحديدًا التفسير 52، 2 ص 1710، بتصريح ابن رشد بأنّ هنالك جزءًا ثالثًا لمقالة اللام: **"هذا الجزء هو الجزء الثالث من هذه المقالة وقصده فيه أن يفحص هل الأشياء الموجودة بعضها من أجل بعض وكلها من أجل الأول..."** في واقع الأمر، يتعلق التفسير 52 بالنص 52 لأرسطو الذي ينتمي، أو كنا نتوقع ذلك، إلى الجزء الثاني من المقالة، خاصة وأنّه يشكل آخر فصولها كما سنرى لاحقًا. قصد محاولة حلّ هذا الإرباك سنستعين بروس لأنّه واصل، مع ج. تريكو (J. Tricot)، في نظرنا الموروث المشائي لكتاب **ما بعد الطبيعة** في حلقته الهلينستية.

عمومًا يُربك تقسيم مقالة اللام إلى ثلاثة أجزاء التقسيم الذي استقر في الترجمات الغربية المعاصرة، فهي تتفق تقريبًا على أنّ مقالة اللام تحتوي على جزأين[5]. بالنسبة إلى روس يشمل الجزء الأول الفصول الخمسة الأولى مع استثناء الفصل الأول (اللام، 2، 1069 ب، 5 – اللام، 5، 1071ب، 35). جميعها تبحث في الجوهر المحسوس وهي بذلك يمكن أن تعتبر توطئة عامة لفصول الجزء الثاني الذي يشمل بدوره بقية الفصول، من الفصل السادس إلى الفصل العاشر (اللام، 6، 1071ب، 1 – اللام، 10، 1076أ، 35)، والتي تنظر في الجوهر السرمدي غير المحسوس. على الرغم من كوننا نلاحظ هنا تطابقًا شبه تام بين ابن رشد وما

[5] voir Ross, W. D, *Aristotle*, p. 165 et Aristote, *Métaphysique*, Tome II, Λ, p. 152, Traduction et Notes par J. Tricot, Vrin, Paris, 1991.

ذهب إليه روس فيما يخص مطالب أقسام مقالة اللام إلا أنّنا نلاحظ في المقابل اختلافًا مهمًّا يتعلق بعدد أجزاء هذه المقالة.

للأسف لا يشير ابن رشد لا إلى نهاية الجزء الأول ولا إلى بداية الجزء الثاني ولكننا نستطيع على وجه التقريب لا فحسب تحديد بداية هذين الجزأين ونهايتهما، وإنّما أيضًا ضبط مختلف تراقيم الفصول العشرة وذلك إذا ما حاذينا على جهة المقارنة الفصول التي احتوتها ترجمة روس وتريكو:

ـ فصول مقالة اللاّم حسب تفسير ابن رشد (مقارنة بروس):

ـ **الفصل الأول**: من النص 1، 1 ص 1406 إلى التفسير 6، 10 ص 1436. ـ **الفصل الثاني**: من النص 7، 12 ص 1436 إلى التفسير 11، 2 ص 1452. ـ **الفصل الثالث**: من النص 12، 4 ص 1452 إلى التفسير 18، 5 ص 1505. ـ **الفصل الرابع**: من النص 19، 7 ص 1505 إلى التفسير 24، 3 ص 1531. ـ **الفصل الخامس**: من النص 25، 5 ص 1531 إلى التفسير 28، 6 ص 1555.	ـ يستثني روس الفصل الأول من إمكان اندراجه ضمن فصول الجزء الأول، بينما يتركه ابن رشد ضمنيًّا تابعًا لها، وهو يتوافق بذلك مع ترجمة تريكو التي تجعل من الفصل الأول بداية للجزء الأول. ـ في المقابل يستثني تريكو الفصل الخامس سواء من الجزء الأول أو من الجزء الثاني لمقالة اللام. وهو الأمر الذي لا نعثر عليه عند ابن رشد وروس.
ـ **الفصل السادس**: من النص 29، 8 ص 1555 إلى التفسير 33، 8 ص 1580. ـ **الفصل السابع**: من النص 34، 10 ص 1580 إلى التفسير 41، 10 ص 1639. ـ **الفصل الثامن**: من النص 42، 12 ص 1639 إلى التفسير 50، 12 ص 1690. ـ **الفصل التاسع**: من النص 51، 1 ص 1691 إلى التفسير 51، 13 ص 1708. ـ **الفصل العاشر**: من النص 52، 1 ص 1709 إلى التفسير 58،.....	ـ تلك هي فصول الجزء الثاني من مقالة اللام حسب تريكو وروس. أما بالنسبة إلى ابن رشد فيجعل من الفصل العاشر والأخير بداية الجزء الثالث من مقالة اللام.

على جهة الأغلب يبدو أن تقسيم مقالة اللام إلى جزأين رئيسيين ليس من عنديات الشارح الأكبر، وإنّما قد يعود ذلك إلى التقليد المشائي المبكر، ونعني به تحديدًا أولى التفسيرات الهلينستية التي وضعت على متن ميتافيزيقا أرسطو، وأنّ الإسكندر الأفروديسي، الذي أخذ عنه ابن رشد هذا التقسيم من تفسيره لمقالة اللام، لم يكن في الحقيقة إلا مرحلة هامة من مراحل صيرورة انتقال الأرسطية إلى العالم العربي. ولكن كيف نفسر التقسيم الثلاثي الذي وضعه ابن رشد لمقالة اللام؟ هل هناك فرضيات تساعدنا على فك الإرباك اللاحق بهذا التقسيم؟

لا نعثر في تفسير ابن رشد على دليل يثبت صحة انتساب التقسيم إلى الإسكندر الأفروديسي أو إلى غيره من المشائين القدامى، وإنّما لدينا بعض الفرضيات التي تثبت أنّ التقسيم الثنائي لمقالة اللام هو الذي ينبغي الأخذ به واعتباره، الأمر الذي استقر عليه التقليد المشائي. الفرضية الأولى وهي أنّ هناك خطأً من الناسخ فبدل نسخ لفظ "الجزء الثاني" نجده يكتب: **"هذا هو الجزء الثالث من هذه المقالة"**. الفرضية الثانية أنّ ابن رشد قد اعتبر توطئته الشهيرة لمقالة اللام جزءًا أول مفردًا برأسه عن بقية أجزاء هذه المقالة.

تبدو الفرضية الأولى ضعيفة على الرغم من أنّ ناسخ **تفسير ما بعد الطبيعة** سواء أكان كلام أرسطو أو كلام ابن رشد قد سبق وأن أخطأ في رسم بعض الألفاظ الدخيلة. هذا إضافة إلى أنّ طريقة بويج في التحقيق تترك النص بفراغاته وعلى عواهنه في رسم الألفاظ أو الأعلام. على الرغم من كل هذه الأدلة إلا أنّنا نفضل استبعاد الفرضية الأولى نظرًا لأنّ الثانية تبدو أقرب إلى التصديق منها إلى التكذيب.

إنّ اعتبار التوطئة جزءًا أول من مقالة اللام أمر لا يمكن قبوله عند أغلب شراح أرسطو المعاصرين فالتوطئة الرشدية ليست لاحقة بالتفسير، وإنّما هي تذكير بجملة ما اشتملت عليه مقالات ما بعد الطبيعة، ومحاولة بيان أنّ ترتيب المقالات جاء على غاية من النظام والترتيب، لذلك يمكن اعتبارها بوجه من الوجوه ردًّا على تشكيكات نيقولاوش الدمشقي في حسن ترتيب التعليم الموضوع من قبل أرسطو وليست تفسيرًا تابعًا لمتن مقالة اللام.

بغضّ النظر عن مدى قوة هذه الفرضيات من عدمها إلاّ أنّنا نستبعد أن يكون الفصل العاشر في ترجمات روس وتريكو جزءًا ثالثًا كما ذكر ابن رشد، ويعود ذلك إلى أنّ موضوع هذا الفصل إنّما هو تابع لموضوع الجزء الثاني والأخير، وهو النظر في الجوهر السرمدي الأول بالجهة التي تخصه، وهي أنّه غاية

النظام الموجود في العالم[6]. لذلك كان الفصل العاشر بداية الفحص في الشك العارض هل أنّ المحرك الأول علة فاعلة أم علة غائية، وهي المسألة التي سيتعرض لها كل من ابن رشد وروس في تفسيرهما للفصل السادس من مقالة اللام.

2- إثبات وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك وطبيعة الفحص فيه

أ- إثبات وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك

في الوقت الذي يرى فيه روس أنّ أدلة إثبات وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك مختلفة عند أرسطو باختلاف مراحل نضجه الفكري من مؤلف لآخر، فإنّنا لا نعثر في الشروحات الرشدية لكتاب **ما بعد الطبيعة**، سواء أكانت تفسيرًا أم جوامع، على أي إشارة توحي بهذا الاعتقاد الذي شغل اهتمام الشراح المعاصرين أكثر من اهتمام القدامى منهم. لذلك يعتبر روس أنّ الدليل المذكور في مستهل الفصل السادس من مقالة اللام إنّما هو دليل كوسمولوجي (the cosmological argument)[7].

ومعنى كوسمولوجي أنّه ليس متعلقًا بطبيعة حركة النقلة المستقيمة اللاحقة بطبيعة الأجسام الأرضية المتغيرة، وإنّما هو متعلق بطبيعة الحركة الدائرية اللاحقة بطبيعة الأجرام السماوية السرمدية. على أنّ المعنى لا يتوقف عند ذلك، إذ لمّا كان هناك ترابط من غير جنس الترابط الطبيعي بين السماء الأولى والمحرك الأول كان لزامًا أن يكون النظر في طبيعة هذا المحرك محتاجًا إلى علم الهيئة، وذلك هو معنى استظهار العلم الإلهي بمقدمات من الصناعة النجومية[8].

يجمع كل من ابن رشد وروس على أنّ البراهين المذكورة في مقالة اللام لإثبات وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك إنّما هي براهين تصنف وفق الأول ضمن براهين الدلائل وأخصها برهان الحركة[9]،

---

[6] "هذا الجزء هو الجزء الثالث من هذه المقالة وقصده فيه أن يفحص هل الأشياء الموجودة بعضها من أجل بعض وكلها من أجل الأول كالحال في أعضاء الانسان مع المبدأ الأول الذي به صار إنسان ما أو ليس بينها ارتباط وإنّما وجود بعضها مع بعض بالاتفاق وهي كلها من أجل شيء خارج عنها". ابن رشد، مقالة اللام، التفسير52، 2 ص 1710

[7] يرى روس بأنّنا نعثر في الكتابات المبكرة لأرسطو (*On Philosophy*) على استخدام نوعين من الأدلة: الدليل الأنطولوجي ontological argument والدليل الغائي the teleological argument. يتلخص الدليل الأول في الاستدلال التالي وهو أنه كلّما وجد الخير وجد الفاضل وبالتالي فإذا كانت الموجودات يتفاضل بعضها على بعض فمن الحري أن يكون الفاضل فيها بإطلاق هو المستحق لاسم الإله. أمّا الدليل الثاني فيتعلق بنظر الإنسان العاقل في عظمة الموجودات وعجائب المخلوقات المفضية بالضرورة إلى وجود إله سرمدي غير متحرك. انظر:

Ross, W. D, *Aristotle*, p.186.

[8] انظر على سبيل المثال مقالة اللام، التفسير44، 12 ص 1653

[9] انظر المصدر السابق، التفسير5، 11 ص 1423

وتصنف وفق الثاني ضمن البراهين غير الجمهورية وأخصها البرهان الكوسمولوجي[10] الذي يمكن صياغته كالتالي:

إذا ما سلمنا بأنّ الجواهر هي الموجودات المتقدمة الوجود فإنّ ذلك يعني أنّه بفساد الجواهر تفسد جميع الموجودات المتأخرة الوجود. غير أنّ هناك موجودين لا يلحقهما الفساد هما الحركة (change) والزمان (time). إذ لا يمكن للزمان أن يوجد بعد أن لم يكن موجودًا كما لا يمكن له أن لا يوجد بعد أن كان موجودًا. دون الفرضية السابقة لا يمكن ليس فحسب تخيل المتقدم والمتأخر حسب روس وإنّما أيضًا تخيل الحدوث والفساد حسب ابن رشد. كذلك ينسحب الأمر على الحركة فمن غير المعقول أن تحدث الحركة بعد أن لم تكن حركة ولا أن تنتهي حتى لا يبقى شيء متحرك أصلاً.

وإذا ما خلصنا إلى أنّ الزمان والحركة موجودان أزليان وأنّهما إضافة إلى ذلك ليسا شيئًا واحدًا، فإنّه لم يبق من الأمر إلا أن نعتبر أحدهما (الزمان) عارضًا من عوارض الآخر (الحركة)، وهو أمر قد تبين في العلم الطبيعي. غير أنّ الحركة المتصلة لا توجد إلا في المكان وهي تحديدًا الحركة المتصلة الدائرية لذلك توجّب وجود حركة دائرية أزلية. ولكي تكون هناك حركة أزلية ينبغي التسليم بوجود جوهر سرمدي يختص بالشروط التالية:

1) يجب أن يكون هذا الجوهر قادرًا على التحريك وهو الشرط الذي تفتقده الصور الأفلاطونية إذ ليس فيها مبدأ تحريك.

2) كما يجب أن لا يكتفي هذا الجوهر بحيازة قوة التحريك، وإنّما ينبغي أن يكون منجزًا لها بالفعل أيضًا.

3) يجب أن يكون جوهره ليس بالقوة، وإنّما بالفعل حتى لا يكون يفعل مرة ولا يفعل مرة أخرى.

4) يجب أن يكون الجوهر السرمدي أيضًا خلوًّا من المادة.

في تفسيره لصدر الفصل السادس من مقالة اللام يقدم ابن رشد تفسيرًا مختلفًا من جهة الكيفية عن ذلك الذي قدمه روس. قبل شروعه في تفسير جملة ما احتوى عليه النص 29 يلاحظ أبو الوليد أنّ إثبات وجود

[10] Ross, W. D, *Aristotle*, p.186.

الجوهر الأول، وإن كان مطلبًا لاحقًا بصناعة ما بعد الطبيعة إلا أنّ بيانه يحتاج إلى مقدمات مأخوذة من العلم الطبيعي. وكمثال على ذلك يبني ابن رشد كلام أرسطو بناءً قياسيًّا وفق المقدمات المنطقية الطبيعية التالية:

- المقدمة الأولى: الجواهر علل جميع الموجودات

- المقدمة الثانية: إذا كانت علل جميع الأشياء كائنة فاسدة فجميع الأشياء كائنة فاسدة

- النتيجة: الجواهر إن كانت كائنة فاسدة فإنّ جميع الموجودات كائنة فاسدة

غير أنّ هناك استثناءً يخص الجزء الثاني من المقدمة الثانية، وهو استحالة فساد الحركة والزمان. إذ من غير الممكن أن تحدث الحركة بعد أن لم تكن حركة، ولا أن تنتهي حتى لا يبقى بعد ذلك شيء متحرك أصلاً. كذلك ينطبق الأمر على الزمان، إذ لا يمكن تعقل المتقدم والمتأخر والكون والفساد متى لم نسلّم بأزلية الزمان. وإذا ما كانت الحركة والزمان أزليتين فإمّا أن يكونا شيئًا واحدًا وإما أن يكون أحدهما عارضًا من عوارض الحركة. غير أنّ الحركة المتصلة لا توجد إلا في المكان، وتحديدًا الحركة الدائرية، ولكي يكون ذلك كذلك لا بد من وجود محرك أزلي يختص بالبيانات التالية:

1) أن يكون هذا المحرك الأزلي فعلاً محضًا.

2) أن يكون مبدأً للتحريك وبالتالي فلا فائدة من القول بالصور (أفلاطون) أو الأعداد أو نفس العالم لأن ليس فيها مبدأ تحريك.

3) أن يكون سرمديًّا.

4) أن يكون متحركًا إليه بالاشتياق.

5) أن يكون محركًا بالفعل.

6) أن يكون خلوًّا من المادة.

يسمح عرض هذين التمشيين من الوقوف على مسألتين يتفارق فيهما التفسير الرشدي عن تفسير روس لصدر الفصل السادس لمقالة اللام. تتعلق المسألة الأولى بتقاطع العلم الطبيعي مع علم ما بعد الطبيعة فيما يخص مطلب البرهنة على وجود الجوهر السرمدي. أمّا المسألة الثانية فتتعلق بالدلالة الفلسفية التي يختفي وراءها تحويل عبارات أرسطو إلى أقيسة منطقية.

يجب أن يفهم التقاطع بمعنى الأخذ قصد الاستظهار على جهة الإجمال بالمقدمات والنتائج العامة التي تبيّنت تفصيلاً في العلوم الطبيعية. بالفعل يتسلم صاحب ما بعد الطبيعة، أثناء فحصه في وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك، من صاحب العلم الطبيعي لا فحسب المقدمات العامة التي قيلت في طبيعة العقل الإلهي (علم النفس) وإنّما يتسلم منه أيضًا أعداد المحركات (علم النجوم) وجهة النظر المخصوصة للجوهر المحسوس (علم الطبيعة). لذلك فإنّ البيانات المتعلقة برسم الجوهر الأول من قبيل كونه عقلاً مفارقًا غير متحيز في هيولى أو كونه محركًا أول هو مبدأ بقية المحركات السماوية أو كونه جوهرًا أزليًّا غير متحرك جميعها أمور قد فُصّل القول فيها بنوع أول مبسوط في العلوم الطبيعية أما هنا في علم ما بعد الطبيعة فتذكر على جهة الإجمال.

أما فيما يتعلق بعملية تحويل كلام أرسطو إلى أقيسة منطقية فهي غير مقتصرة على صدر الفصل السادس من اللام وإنّما هي ظاهرة متواترة نعثر عليها في عدة مواضع في صناعة ما بعد الطبيعة. مثال ذلك القياس الذي ورد في مقالة اللام، التفسير 41، 10 ص 1627، الناظر في نفي كون المحرك الأول متحيّز في جسم متناه[11]. ونحن إذا ما سلمنا أنّ المقاييس هي إحدى آلات المنطق تمامًا مثل الحدود والبراهين والمقدمات، فإنّ دلالة استخدامها في الصنائع القياسية غير البرهانية كعلم ما بعد الطبيعة أو الخطابة أو الجدل يمكن أن تخفي محاولة رشدية في نقل النموذج القياسي البرهاني الموجود في صناعة البرهان إلى بقية الصنائع المفتقدة لشروط القول العلمي اليقيني.

ب- طبيعة الفحص في الجوهر السرمدي غير المتحرك

جرت العادة عند ابن رشد أن تُرد عبارة "طبيعة الفحص" إلى جنس الأقاويل العارضة لموضوع العلم وليس إلى موضوع العلم ذاته. بمعنى أنّ الذي يُحدّد طبيعة النظر البرهاني من النظر الجدلي من النظر الخطابي ومن بقية أنواع النظر الصناعي إنّما ينبغي أن يتعلق بطبيعة الأقاويل المستخدمة في تلك الصناعة وليس موضوع الصناعة ذاته. وإذا كان ذلك كذلك فإنّ قولنا حينما نروم الفحص في طبيعة الجوهر السرمدي غير المتحرك إنّما يجب أن يفهم منه بالضرورة تحديد جنس القول المختص بالنظر في هذا الجوهر كأن نقول مثلاً إنّه على جهة البرهان أو على جهة الجدل أو على أي جهة أخرى مشهورة.

غير أنّه يجب أن ننتبه إلى أنّ عبارة "طبيعة الفحص" المذكورة سابقًا، غير لاحقة لا بطبيعة الموضوع ولا بطبيعة القول، وإنّما تلحق بطبيعة إثبات الموضوع، وهو هنا الجوهر السرمدي غير المتحرك. حسبما ورد

[11] لمزيد من الأمثلة الواردة في **تفسير ما بعد الطبيعة** يمكن العودة إلى رمضان بن منصور، **قراءة جديدة لعلم المنطق وعلاقته بالميتافيزيقا**، ص 274 – 278، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2013

في **تفسير كتاب ما بعد الطبيعة**، تنقسم طرق الإثبات إلى نوعين مختلفين باختلاف جهة نظر الصناعة: نوع برهاني، به ومن خلاله تثبت الصناعة وجود موضوعها بطريق استدلالي سواء أكان الاستدلال على جهة البرهان المطلق أم على جهة برهان الدليل. ونوع، نستطيع أن نطلق عليه تجوّزًا، بالنوع "الوضعي" به ومن خلاله يقع الاستظهار بالإثبات ليس من العلم المنظور فيه وإنّما من العلم الذي وقع النظر فيه في كتاب آخر أو في صناعة أخرى. إلى أيّ أنواع الإثبات يعود وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك الوارد في الفصل السادس من مقالة اللام لأرسطو؟ هل أنّه مثبت بالبرهان هنا أم أنّه موضوع وضعًا في ما بعد الطبيعة بينما وقع إثباته على وجه التحقيق في علم آخر؟

في حلّ هذا الشك يتقاطع تفسير ابن رشد مع تأويل روس. في الوقت الذي لا يُقدّم فيه روس أي مقصد يخص تأويل العبارة الواردة في مستهل الفصل السادس من مقالة اللام والمتعلقة بوجود الجوهر السرمدي غير المتحرك[12] نرى أنّ ابن رشد يقدم مقصدين: المقصد الأول وهو أنّ وجود مثل هذا النوع من الجوهر في علم ما بعد الطبيعة إنّما هو وجود موضوع وضعًا، وبالتالي فهو ليس مبرهن عليه في هذا العلم، وإنّما وقعت البرهنة عليه في الثامنة من **السماع**. وإذا كان المقصد الأول هو المقول على جهة التقديم والتحقيق، فإنّ أبا الوليد يقدم قصدًا ثانيًا مقولاً هذه المرة على جهة التأخير وإن بوجهين مختلفين: الوجه الأول هو أنّ إثبات أرسطو لهذا النوع من الجواهر في ما بعد الطبيعة إنّما يحتمل أن يفهم منه أنّه جريان على سنّة القدماء في إثباته في مثل هذه المواضع فأراد أن يتبع بذلك تقليدًا تعارفوا عليه لا غير. الوجه الثاني هو أنّ الإثبات في مثل هذه المواضع اللائقة بالميتافيزيقا إنّما يحتمل أن يفهم منه أنّه لغاية تعليم عقول الناس ما هو بسيط ومشهور فقد أثبت هنا وجود الجوهر السرمدي غير المتحرك.

3- العناية الإلهية عند أرسطو بين ابن رشد وروس

في الوقت الذي يرى فيه روس أنّ مسألة العناية أمر لم يثبته أرسطو ولو بالذكر في كتاباته الطبيعية والميتافيزيقية، وإنّما هو قول دخيل من الإسكندر الأفروديسي اتبعه فيه بعد ذلك أغلب فلاسفة المشائية المتأخرة، فإنّ ابن رشد في المقابل ينبت فكرة العناية عند المعلم الأول من خلال تفسيره لإحدى أوجز عبارات

[12] **"ولما كانت الجواهر ثلاثة وكان اثنين طبيعيين وكان الواحد غير متحرك فقد ينبغي ان نتكلم في هذا ونخبر انه قد يجب ضرورة ان يوجد جوهر ما سرمدي غير متحرك"**. ابن رشد، **تفسير ما بعد الطبيعة**، مقالة اللام، النص 29، 2، ص 1555. للعودة إلى ترجمة روس انظر:

Aristotle's, *Metaphysics*, Λ, 6, 1071^{b}, 1.

الفصل السادس من مقالة اللاّم وأصعبها: **"فإذا الوحدة والليل ليس بغير نهاية لكن هي بأعيانها دائمًا إما بالدور أو على وجه آخر إن كان الفعل أقدم من القوّة"**[13].

في الحقيقة، إنّ الإنبات لا يتوقف على ابن رشد وإنّما سبقه إلى ذلك الإسكندر الأفروديسي. غير أنّ ههنا مشكلاً يتعلق بالمصادر التي استنبت منها الأخير فكرة العناية، ذلك أنّ إشارة روس تصرح بأنّ هناك فقرة وردت في كتاب **الكون والفساد** 336ب 31 هي التي أوهمت الإسكندر الأفروديسي بتقرير العناية عند أرسطو. ونحن إذا ما عدنا إلى شهادة الإسكندر نفسه في مقالته في **العناية** نراه يذكر مصدرين يثبتان العناية عند أرسطو هما: كتاب **السماء**، المقالة 1، الفصل 9، 279 أ – 279 ب [14] وكتاب **ما بعد الطبيعة**، مقالة اللاّم[15].

وإذا ما كنا قد تناولنا هذه المواضع المستشكلة بشيء من التفصيل في مقالنا **العناية الإلهية بين أرسطو والإسكندر الأفروديسي وابن رشد**[16] فإنّ سؤالاً ما فتئ يطرح نفسه هل يمكن اعتبار تفسير ابن رشد للفصل السادس من مقالة اللاّم وإقراره فيه بالعناية ما هو إلا سير على خطى تلخيص الإسكندر الأفروديسي، خاصة وأنّ هناك قرائن نصية عديدة تثبت اطلاعه مباشرة على مقالة **العناية** دون أن يذكرها صراحة في تفسيره؟

قد تمثل الجملة التي أوردناها سابقًا لأرسطو مناسبة لا للتحقق من ادعاء روس حول خلو ميتافيزيقا أرسطو من فكرة العناية فحسب، وإنّما أيضًا فرصة للوقوف على التأثير الذي مارسه تلخيص الإسكندر الأفروديسي لمقالة اللام على تفسير ابن رشد لهذه المقالة.

تتعلق العبارة حسب فهم ابن رشد بكيفية حدوث الكون والفساد في عالم الموجودات المتغيرة. إذ بعد النظر في طبيعة المحرك الأول يتساءل أبو الوليد عن حركة الكون والفساد السرمديين في العالم السفلي: هل هما من فعل الجوهر الأول السرمدي المتصف بالشروط التي عرضناها سابقًا أم هما من فعل جواهر سرمدية هي الأخرى لكنها لا تستجيب إلى الاستحقاقات اللائقة بالجوهر الأول؟

إذا ما سلمنا أولاً بأنّ الكون والفساد حركات يومية يعتريها الزمان، والاختلاف، والزيادة، والنقصان، وإذا ما أضفنا إلى هذا التسليم تسليمًا ثانيًا، وهو أنّ فعل الجوهر الأول لا ينبغي أن يتصور إلا على جهة كونه

---

[13] ابن رشد، **تفسير ما بعد الطبيعة**، مقالة اللام، النص 32، 8 ص 1575

[14] ورد في **أرسطوطاليس في السماء والآثار العلوية**، حققهما وقدّم لهما عبد الرحمان بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ط1، القاهرة، 1961

[15] حسبما وقع في ترجمة متى لمقالة **العناية** أنّها المقالة الأولى وليست الحادية عشرة، وهو خطأ بيّن في النص اليوناني ناتج عن خلط الناسخ في الرسم بين مقالة Λ (اللام) ومقالة A (الألف الكبرى). ونحن قمنا بهذا التصحيح اعتمادًا على ما أورده ابن رشد على جهة اللفظ لكلام الإسكندر الأفروديسي في تلخيصه لمقالة اللاّم لأرسطو إذ لا معنى لتعلق العناية بمقالة الألف الكبرى فموضوع نظرها كما هو معروف لا يناسب العناية الإلهية.

[16] انظر رمضان بن منصور، **العناية الإلهية بين أرسطو والإسكندر الأفروديسي وابن رشد**، مقال ورد في **الفكر العربي المعاصر**، 161- 160، ص ص 134 – 144، مركز الإنماء القومي، لبنان – فرنسا، 2013

فعلاً واحدًا، ودائمًا، وغير متغير، فإنّنا نستطيع أن نستنتج بأنّ حركة الكون والفساد لا يمكنها أن تصدر من الجوهر الأول مباشرة بل من جوهر آخر هو الجوهر السماوي. إنّ حدوث الكون والفساد حسب ابن رشد لا يمكنه أن يحصل إلا على أحد الوجهين التاليين: إمّا أن يكونا لاحقين بالعالم كله مرة يكون فيها قابلاً للفساد، ومرة يكون فيها قابلاً للكون، وإما أن يكونا لاحقين ببعض أجزاء العالم مرة تكون فيها خاضعة للفساد، ومرة تكون فيها خاضعة للكون[17].

تفترض حركة الكون والفساد الحادثة في عالم الموجودات المتغيّرة مُحركًا أزليًّا منتظمًا، تكون فيه القوّة سابقة على الفعل، يفعل أفعالاً مختلفة وبالتالي ينبغي أن تكون مفعولاته وآثاره مختلفة أيضًا. من البين أنّ جميع هذه الشروط لا تنطبق على الشروط التي رسمناها للمحرك الأول (الله) باستثناء شرط الأزلية، بل هي تنطبق على محرك آخر هو السماء الأولى مسكن الأفلاك المائلة كالشمس، والقمر، وبقية الأفلاك. في هذا السياق نجد أنفسنا أمام التصور نفسه الذي عرضه الإسكندر للعناية (التي نسبها إلى علتها القريبة والمباشرة وهي الأفلاك المائلة) والذي يُعيد ابن رشد اقتباسه بصورة واضحة في تفسيره لمقالة اللاّم: **"يقول الإسكندر إنّه يذكر في هذا القول بإيجاز ما تبين في الأقاويل الطبيعية وبخاصة في كتاب الكون والفساد وذلك أنّه قيل هنالك إنّه (...) يجب أن يكون هاهنا شيء أزلي واحد هو السبب في الفعل الدائم من قبل أنّه إنّما يفعل فعلاً واحدًا، وشيء أزلي يفعل أفعالاً مختلفة لتكون عنه مفعولات مختلفة دائمًا، وهذه حال السماء الأولى في حركتها اليومية، فإنّ دوام الفعل إنّما أتى من قبلها، إذ كانت إنّما تفعل فعلاً واحدًا دائمًا، وأمّا التي تفعل أفعالاً مختلفةً دائمًا فهي التي تدور في الأفلاك المائلة وأعظمها فعلاً هي الشمس بقربها من الأشياء وبعدها في حركتها العامية تفعل المتضاد معًا مثال ذلك أنّها إذا بعدت كانت سببًا لفساد أكثر الموجودات وإذا قربت كانت سببًا لتكون الأكثر، وقد يكون بعدها سببًا لموجودات ما، وقربها فساد لموجودات ما أيضًا"**[18].

نستطيع أن نخلص إذن إلى أنّ العناية عند ابن رشد، كما هي عند الإسكندر، لا يمكن أن تصدر من الجوهر الأول مباشرة وإنّما هي فائضة عن السماء الأولى ويُعزى ذلك إلى الأمر التالي: إنّه لما اشترطنا بأنّ الفعل الصادر من المحرك الأول ينبغي أن يتصف بالواحدية (أي أنّه فعل واحد)، والاتصال، والدوام فإنّ ذلك يعني أنّه من الشناعة نسبة العناية بالعالم الطبيعي إليه وذلك لأنّ أفاعيل هذا العالم ومفعولات أفاعيله متكثرة،

[17] **"وإذا تبين أنّ الفعل أقدم من القوة فإذا الموجودات إن كانت من ليل ووهدة فليست الوهدة ولا الليل مما يقال فيها إنّهما ثابتان زمانًا لا نهاية له، بل قد يجب أن يكون كونها وفسادها دورًا إما في الكل كما يرى ذلك أبندقليس في العالم بأسره أنّه مرة يكون ومرة يفسد، وإمّا أن يكون الدور فيها في الأجزاء كالحال في كون الأسطقسات وفسادها، وهو الذي دل عليه فيما أحسب"**. ابن رشد ، **تفسير ما بعد الطبيعة** ، مقالة اللام ، التفسير32 ، 7 ص 1577

[18] المصدر السابق، مقالة اللام ، التفسير33 ، 10 – 1 ص ص 1578 – 1580

ومتضادة، ومتغيرة. لذلك كله يبدو أنّه من الأحرى والأنسب أن تنسب العناية لا إلى المحرك الأول، وإنّما إلى السماء الأولى لأنّ أفعالها مختلفة كاختلاف مفعولاتها.

غير أنّه إذا ما سلمنا بأنّ السماء الأولى هي المحرك لحركة الكون والفساد الحادثة في عالم الموجودات المتغيرة، فإنّ ذلك لا يعني أنّها تفعل ذلك من تلقاء ذاتها وبذاتها، وإنّما هي مجرد واسطة يفعل من خلالها المحرك الأول. لذلك يصح في هذا السياق التذكير بالتمييز الذي رسمه ابن رشد في مقالة اللام بين الفاعل والمحرك: إذ لما كان اسم الفاعل يطلق على المحرّك المحدث للأثر، وكان اسم المحرك لا يطلق في المقابل إلا على المحرك الذي لا يحدث كيفية أثرية، فإنّه يكون من الأنسب تسمية السماء الأولى بالفاعل، لأنّها تُحدث آثارًا كحركة الكون والفساد، والجوهر الأول بالمحرك وذلك بسبب أنّه لا يحدث كيفيات أثرية لأنّ فعله واحد كما سبق وأن ذكرنا[19].

يُلقي القول بالعناية عند ابن رشد ظلالاً كثيفة على "علاقته النقيّة والطاهرة" بأرسطو الذي لم يستقص في العناية مقدار ما استقصى من بعده شراح المدرسة الإسكندرانية وعلى رأسهم الإسكندر الأفروديسي. لقد كان تفسير الأخير لمقالة اللام لأرسطو ولمقالته **في العناية** الدور الحاسم في تشكيل تصور رشدي طريف لمعضلة تصاريف تنفيذ الله لسياسته الكونية. يعود وجه طرافة هذا التصور إلى اعتماده على ما يقوله العلم الطبيعي بشقيْه الفلكي والنفسي المستندين إلى ما يُخبر عنه الحس وما يُبرهن عليه العقل. لقد كان المبدأ الأخير المقياس الذي اشترطه أرسطو وبينه الإسكندر واستظهر به ابن رشد في حصول كل قول مقنع بالعناية.

نعرض في الجداول التالية التناص القائم بين بعض مواضع مقالة **العناية**[20] للإسكندر الأفروديسي ومواضع أخرى ليس من **تفسير ما بعد الطبيعة** فحسب، وإنّما أيضًا من **جوامع ما بعد الطبيعة**[21]، و**تهافت التهافت**[22]، و**الكشف عن مناهج الأدلة**[23]. وغرضنا في ذلك البرهنة على فرضية التأثير الذي تركته هذه المقالة في تصور ابن رشد للعناية.

---

[19] **"ولما كان الفاعل أخص من المحرك، وذلك أنّ الفاعل هو المحرك المحدث للأثر كما تبين في كتاب الكون والفساد، وأمّا المحرك المقول بخصوص فهو الذي لا يحدث كيفية أثرية فكل فاعل محرك وليس كل محرك فاعلا."** المصدر السابق، التفسير 23، 14 – 1 ص ص 1524 - 1525

[20] الأفروديسي، الإسكندر، مقالة **العناية**، تقديم وتحقيق وترجمة بيار تيبه (Pierre Thillet)، باريس، 2003

[21] ابن رشد، **كتاب علم ما بعد الطبيعة** وهو من الجوامع التي ألفها ابن رشد، عني بنشره قرلس كيروس، يحتوي التحقيق على ترجمة إسبانية للنص العربي قدم لها جوزيف بويج مونتادا، مدريد، 1918

[22] ابن رشد، **تهافت التهافت**، تحقيق موريس بويج، دار المشرق، بيروت، 1989

[23] ابن رشد، **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة**، تقديم وتحقيق محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1955

الإسكندر الأفروديسي: **مقالة في العناية**

- "وذلك أن لو كان بعد الشمس عنه يكون بوجود أقرب إلينا مما هو الآن ولم يكن بعدها عنا هذا البعد الذي يوجد لها الآن، لكانت تحمي الموضوع الذي يلي من الأرض إحماء يتجاوز له الاعتدال لقرب حركاته، وذلك كان يكون أحمى من هذا الموضع، ولو كانت على خلاف هذه الحال، فكان بعدها عنا أكثر من هذا البعد، لكان إحماؤها أقل. وأما أنّه لو كان يتفق شيء من ذلك، لما كان يمكن كون جنس من الأجناس الحيوانات ولا نبتات". 11 – 18 ص 11.

- على الرغم من أنّنا لا نعثر في **مقالة العناية** على موضع صريح ومباشر يعكس تفسير ابن رشد الوارد في مقالة اللام، التفسير37، 3 ص 1607، فإنّه يمكن القول بأنّ مضمون كلام الشارح الأكبر يمثل صدى لمذهب الإسكندر في العناية، وهو أنّها متعلقة بالنوع لا بالعدد. يقول الإسكندر في موضع قريب من جهة المعنى من المعنى المذكور في التفسير الرشدي: **"وذلك أنّ أرسطوطاليس يقول إنّ سلامة الأشياء التي هاهنا وكونها وبقاؤها الذاتية الأبدية التي لها بالنوع يقول إنّه ليس خلوًّا من العناية الإلهية".** 24 - 25 ص 10.

- "قال إنّ الذين تفلسفوا في أمر العناية وأفادوا غيرهم في ذلك علمًا ما، أمّا بعضهم فزعم أنّه إن كانت العناية كلمة ما وروية الآلهة بحسبها يكون حدوث الأشياء التي تحدث بالطبع في العالم، فلا

ابن رشد: **تفسير ما بعد الطبيعة**

- "وأما التي تفعل أفعالاً مختلفة دائمًا فهي التي تدور في الأفلاك المائلة وأعظمها فعلاً هي الشمس بقربها من الأشياء وبعدها في حركتها العامية تفعل المتضاد معًا مثال ذلك أنّها إذا بعدت كانت سببًا لفساد أكثر الموجودات وإذا قربت كانت سببًا لتكون الأكثر وقد يكون بعدها سببًا لموجودات ما وقربها فساد لموجودات ما أيضًا". مقالة اللام، التفسير33، 10 – 1 ص ص 1579 - 1580.

- "ومن هنا توجد عناية الله بجميع الموجودات وهو حفظها بالنوع إذ لم يمكن فيها حفظها بالعدد، فأما الذين يرون أنّ عناية الله متعلقة بشخص شخص فقولهم من جهة صادق ومن جهة غير صادق، أما صدقه فمن قبل أنّه ليس يوجد لشخص ما حالة تخصه إلا وهي موجودة لصنف من ذلك النوع، وإذا كان هذا هكذا فالقول بأنّ الله يعتني بأشخاص قول صادق بهذه الجهة وأما العناية بالشخص بنحو لا يشركه فيه غيره فذلك شيء لا يقتضيه الجود الإلهي". مقالة اللام، التفسير37، 3 ص 1607.

- "إنّ هاهنا قوما قالوا إنّه ليس يوجد هاهنا شيء إلا والله يعتني به، لأنّهم زعموا أنّ الحكيم ليس ينبغي أن يترك شيئًا دون عناية، ولا أن يفعل شرًّا، وأنّ أفعاله كلها عدل فعاند قوم هذا القول بما يوجد كثيرًا من حدوث أشياء هي شرور وليس ينبغي للحكيم أن يفيدها فصار هؤلاء إلى الطرف المناقض وقالوا لذلك

شيء من الأشياء ما تحدث يكون حدوثه من العناية (...) وقوم آخر كان رأيهم وحكمهم في الفلسفة ورأيهم في أمر العناية مضادًا لرأي هؤلاء وخالفوهم فيه من جميع الوجوه والجهات وذلك أنّهم زعموا أنّه لا شيء من الأشياء مما يكون في الكل يجري كونه من غير عناية، وأنّ كل شيء مملوء من الله، وأنّه نافذ في جميع الأشياء الموجودة". 1 – 6 ص ص 1 – 2.

الإسكندر الأفروديسي: **مقالة في العناية**

- "وذلك أنّ أرسطوطاليس يقول إنّ سلامة الأشياء التي هاهنا [ما دون فلك القمر] وكونها وبقاؤها الذاتية الأبدية التي لها بالنوع يقول إنّه ليس خلوًّا من العناية الإلهية". 24 - 25 ص 10.

- "وأنّ القوة المنبعثة عن الشمس والقمر والكواكب الأخر التي سيرتها سيرة الشمس على رأيه هي السبب بحسب رأيه لكون الأشياء التي قوامها بالطبع ولحفظها". 25 – 27 ص ص 10 - 11.

- "وذلك أن لو كان بُعد الشمس عنه يكون بوجود أقرب إلينا مما هو الآن ولم يكن بعدها عنّا هذا البعد الذي يوجد لها الآن، لكانت تحمي الموضوع الذي يلي من الأرض إحماء يتجاوز له الاعتدال لقرب حركاته، وذلك كان يكون أحمى من هذا الموضع، ولو كانت على خلاف هذه الحال، فكان بعدها عنا أكثر من هذا البعد، لكان إحماؤها أقل. وأما أنّه لو كان يتفّق شيء من ذلك، لما كان يمكن كون جنس من الأجناس إنّه ليس هاهنا عناية أصلاً". مقالة اللام، التفسير 52 ، 2 ص 1715.

ابن رشد: **تلخيص ما بعد الطبيعة**

- "وقد ينبغي بعد أن تنظر في أمر العناية فيما هاهنا، أعني ما دون فلك القمر، ونعمل في ذلك على هذه الأصول المتقدمة، فنقول: أمّا وجود هذه الأشياء التي على وجه الأرض وبقاؤها محفوظة الأنواع فذلك شيء مقصود ضرورة ليس يمكن أن يكون فاعله الاتفاق، على ما كان يرى ذلك كثير من القدماء". § 72 ص 160.

- "وأظهر ما يوجد ذلك [في العناية بالأشياء السفلية] للشمس ثم القمر". § 72 ص 160.

- "وعلى مثال ما قلناه في الشمس والقمر ينبغي أن يعتقد الأمر في سائر الكواكب وفي أفلاكها وفي مسيراتها". § 75 ص 161.

- "وذلك أنّ الشمس بين من أمرها أنّها لو كانت أعظم جرمًا مما هي أو أقرب مكانًا لهلكت أنواع النبات والحيوانات من شدة الحر، وكذلك لو كانت أصغر جرمًا أو أبعد لهلكت من شدة البرد. والتصديق

الحيوانات ولا نبتات. فللإنسان أن يأخذ لذلك تصديقًا كافيًا من مواضع ما من الأرض التي يقال فيها غير مسكونة للغلبة من كل واحد من هاته الكيفيات عليها". 11 – 18 ص 11.

- "وأما أنّ ذلك بها يتم ويكون سببًا لحركتها [الشمس] في الفلك المائل أيضًا، فللإنسان أن يبين ذلك ويعلمه بسهولة إن هو تفقد الأمر أدنى تفقد. وذلك أنّه لو لم تتحرك على هذا الفلك، بل كانت تتحرك على بعض الدوائر المتوازية، لما كان يكون عند ذلك لا الصيف ولا الشتاء ولا تغير آخر من التغيرات، بل كان يكون نظام أوقات السنة نظامًا واحدًا بعينه، من قبل أنّ بُعد الشمس من الناس أجمعين دائمًا بالتساوي، وكانت تتحرك إما عند قوم ما فعلى سمت رؤوسها دائمًا، وإذا كان له هذا النظام، كانت تكون لهؤلاء القوم سببًا للصيف، وإما عند قوم ما، فإذا كان يكون بعدها عنهم أكبر كانت تكون لهم سببًا للشتاء. فأمّا أنّ هذه الأشياء لو كانت تكون على هذه الجهة، لما كان يمكن أن يسلم شيء مما هاهنا. فذلك واضح بين جميع الناس، إذ كان الأمر في أنّ تغيرات أوقات السنة المنتظمة بعضها إلى بعض هي نافعة في كون الأشياء التي هاهنا وسلامتها بينة ظاهرة. غير أنّه ولا لو كانت حركتها أيضًا في الفلك المائل على ما هي عليه الآن ولم يكون لها أيضًا مع ذلك حركة مع الكل، كان يوجد سبيل إلى سلامة تعاقب الليل والنهار الذي هو سبب لراحة الحيوانات وهدوئها اللذين يكونان لها بعقب التعب، بل كان يكون في واحد من المساكن الحر في بهذا يقع من أنّ الذي تفعل به الشمس التسخين هو حركاتها أو انعكاس شعاعها، ومن المواضع التي لا تعمر من شدة الحر وشدة البرد". § 72 ص 160.

- "وكذلك أيضًا تظهر العناية في فلكها المائل [فلك الشمس] ظهورًا بينًا، فإنّه لو لم يكن لها فلك مائل لما كان هنا صيف ولا شتاء ولا ربيع ولا خريف. وهو بين أنّ هذه الأزمان ضرورية في وجود أنواع النبات والحيوان. وأمر العناية في الحركة اليومية ظاهر جدًا، فإنّه لولا الحركة اليومية لم يكن ليل ولا نهار، وكانت تكون نصف السنة نهارًا والنصف الآخر ليلاً، وكانت الأشياء تهلك حينئذ، أما في النهار فمن الحر، وأما في الليل فمن البرد". § 73 ص 160.

جميع السنة أو أي زمان تتحول فيه الشمس إلى أن تعود إلى موضعها، أما نصف من ذلك فالليل وأما الآخر فالنهار". 8 - 25 ص 12.

- "ولنا أيضًا أن نبين من أمر القمر ونأتي بالقول على عدد الأشياء في اعتداله في بعد هذا عن الأشياء التي هاهنا وحركته هذه التي تجري هذا المجرى الذي هو عليه الآن هما سبب لها. وذلك أنّه لو كان أقرب مما هو الآن لكان سيعوق اجتماع وقوام السحاب واجتماعه وقوام المياه، من قبل أنّه كان يكون مفرقًا للبخارات المتصاعدة وملطفًا لها. أما أنّ القمر مُعين في كون الأمطار وامتناعها أيضًا معونة عظيمة، فقد تبين ذلك عن اجتماعات الشمس والقمر الكائنة في كل شهر، أعني الاجتماعات المساوية من اجتماعاتهما، وأيضًا مقابلتهما التي وضعها على ضد حال اجتماعاتهما. وأيضًا فإنّه لو لم تكن حركته في الفلك المائل لكن في بعض الدوائر المتوازية، لما كان يصدر عنه اعتدال البرد والمعونة الكائنة عن الحرارة التي تجري الآن ومقتبس لها عنه في مسكننا. وذلك أنّ حاله الآن، لما كانت توجد على ضد حال الشمس، لتصير به الليالي الشتوية حارة دفيئة لأنّ حاله في وضعه عندنا في هذا الوقت حال مرتبة الشمس في زمان الصيف. وأمّا في الصيف، فتصير به الليالي أقل سخونة ودفئًا، من قبل أنّه ينقلب في هذه الأوقات إلى نواحي الجنوب. ولا أيضًا كانت تكون عنه معونة في لون الثمار ونضجها على ما هو موجود الآن، فإنّه أعظم الأسباب في هذين الأمرين". 4 – 20 ص 13.

- "وأمّا القمر فأثره بيّن أيضًا في تكون الأمطار وإنضاج الفواكه، وبيّن أيضًا أنّه لو كان أعظم مما هو أو أصغر أو أبعد أو أقرب أو لم يكن نوره مستفادًا من الشمس لما كان له هذا الفعل. وكذلك أيضًا لو لم يكن له فلك مائل لما كان يفعل أفعالاً مختلفة في أزمان مختلفة، ولذلك تسخن به الليالي في زمان البرد وتبرد في زمان الحر، أما سخونتها في زمان البرد فلأنّ وضعه منا يكون حينئذ كوضع الشمس في زمان الحر، بأن يكون هو أقرب إلى سمت رؤوسنا إذ كان فلكه أكثر ميلاً، وأما في زمان الحر فيكون الأمر بالعكس: أعني أنّ ظهوره واستتاره يكونان في الجهة الجنوبية، إذ كان أبدًا إنّما يظهر في الجهة المقابلة للشمس، فإذا كانت الشمس في الجنوب ظهر في الشمال واستتر في الجنوب، وإذا كانت الشمس في الشمال انعكس الأمر أعني أنّه يظهر في الجنوب ويستتر في الشمال، ولذلك صار حينئذ يبرد، وذلك أنّه إنّما يلقي حينئذ شعاعه في جهة الجنوب. وكذلك أيضًا ما يظهر من مسيراته المعتدلة في أبعاد محدودة من الشمس ليس ينبغي أن يتوهم أنّ ذلك لغير العناية بما هاهنا." § 74 ص 161.

- "ويقول الإسكندر: إنّ قول من يقول إنّ العناية تقع بالجزئيات كلها قول أيضًا في نهاية الخطأ، على ما كان يرى ذلك أصحاب الرواق، وذلك أنّ العناية من

- "وأيضًا فإنّ الذين يقولون [زينون القطيوس Zénon de Cittium وأهل الرواق] إنّ الله عز وجل يلحظ جميع الجزئيات والأوحاد وتفقده لها وعنايته بها متصلة بلا دثور فقد يلزمها الشناعة بأنّهم مناقضون لأنفسهم وللأشياء المتقدمة المتعارفة. وذلك أنّ الناس بأجمعهم مقرون وهم أيضًا كذلك بأنّه، كما أنّ من الأشياء وجودها ضروري من غير أن يمكن فيها ألا توجد في وقت من الأوقات، كذلك فيها أشياء ما عدمها ضروري وجودها ممتنع غير ممكن في وقت من الأوقات. وهذا مع ما هو عليه من الظهور هو شيء يقر به جميع من هو سليم الفطرة. وذلك أنّه لا القطر يمكن فيه أن يكون ضلع المربع ولا الثانية يمكن أن تكون أصغر من الواحدة ولا الثلاثة يمكن أن تكون مساوية للأربعة ولا الألوان يمكن فيها أن تكون مسموعة ولا الأصوات مرئية ولا الآلهة يمكن أن لا توجد أو أن تكون مائتة، ولا أيضًا أشياء أخر كثيرة لا يحصى كثرة..." 3 - 13 ص 5.

الإسكندر الأفروديسي: **مقالة في العناية**

- يأتي مضمون كلام ابن رشد في **الكشف** ملخصًا تقريبًا لما ذكره الإسكندر متفرقًا في مقالته حول العناية. انظر الصفحات من 11 إلى 15.

تلك إنّما تكون من حيث هي عالمة على ما سلف. وليس يمكن أن يكون لها علوم كثيرة حادثة جزئية فضلاً عن أن تكون غير متناهية. والقائل أيضًا بهذا يجور الآلهة ضرورة، لأنّه إذا كانت تنحو نحو تدبير شخص شخص فكيف يلحق الشخص الشرور، مع أنّ الآلهة تدبره، وأعني هنا أنّ من أنواع الشرور ما قد كان ممكنًا ألا يقع له، وأما الشرور الضرورية وقوعها بالشخص فلقائل أن يقول: إنّ ذلك ليس من عند الإله لكن أكثر من أبدى في أمر العناية هذا الرأي يرون أنّ الأمور كلها ممكنة للإله تعالى، فلذلك يلزمهم ضرورة أن يجوروه. وأما أنّ الأمور ليست كلها ممكنة فظاهر جدًّا، فإنّه ليس يمكن أن يكون الفاسد أزليًّا، ولا يمكن أن يكون الأزلي فاسدًا كما أنّه ليس يمكن في المثلث أن تعود زواياه مساوية لأربع قوائم ولا في الألوان أن تعود مسموعات والقول بهذا ضار في الحكمة الإنسانيّة جدًّا". § 77 ص ص 163 - 164.

ابن رشد: **كتاب الكشف**

- "فإنّه يظهر أنّ الليل والنهار والشمس والقمر، وسائر النجوم مسخرات لنا، وأنّه لمكان النظام والترتيب الذي جعله الخالق في حركاتها، كان وجودنا ووجود ما ههنا محفوظًا بها، حتى أنّه لو توهم ارتفاع واحد منها، أو توهم في غير موضعه، أو على غير قدره، أو في غير السرعة التي جعلها الله فيه، لبطلت الموجودات، التي على وجه الأرض،

وذلك بحسب ما جعل الله في طباعها من ذلك وجعل في طباع ما ههنا أن تتأثر عن تلك. وذلك ظاهر جدًّا في الشمس والقمر، أعني تأثيرهما فيما ههنا. وذلك بين في المياه والرياح والأمطار والبحار، وبالجملة الأجسام المحسوسة". ص 231.

الإسكندر الأفروديسي: **مقالة في العناية**

- "فقد تقال العناية بحسب رأيه على ضربين، وهذه هي الاعتناء الكائن عن الآلهة بالأشياء التي تكون بالطبع على القصد الأول، وذلك أنّه يتضح من أمر الفيلسوف أنّه يقول بأنّ وجود العناية إلى نحو فلك القمر، إلا أنّه يقول بأنّ العناية أيضًا تكون بالأشياء التي تحت فلك القمر وبالعالم. فإنّه هو الزاعم بأنّ الإنسان يولده الإنسان والشّمس." 11– 15 ص 15.

ابن رشد: **تهافت التهافت**

- "وليست هذه الحركة عند القوم من أجل ما ههنا على القصد الأول أعني بالقصد الأول أن يكون الجرم السماوي إنّما خلق من أجل ما ههنا." المسألة الخامسة عشر ، 484 – 12.

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هـاتـف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com